

هل يسوع ابنُ الله منذ الأزل؟

(Arabic - Was Jesus eternally the Son of God?)

حلقة جديدة من سلسلة : سؤال حيرني وجواب أفنعي
 وسؤال هذه الحلقة : هل يسوع ابنُ الله منذ الأزل؟
 يجيبنا على هذا السؤال : Dr. Ron Rhodes
 في كتابه : The Complete Book of Bible Answers.
 وقد حصلنا على تصريح كتابي من الناشر بالترجمة إلى اللغة العربية.

المسيحي يُؤمن أن يسوع المسيح ابنُ الله منذ الأزل. ربّما ليس بين الأسماء ما صادف صعوبة في فهم معناه الصحيح مثل اسم يسوع المسيح ابنُ الله. فمن الأخطاء المنتشرة ما يراه بعضهم أن يسوع المسيح قد تواجّد في وقت مُعيّن. وأنه نوعاً ما أقلُّ مرتبة من الأب. وبعضهم يعتقد أن المسيح هو ابنُ الله. ولكنهم وضعوا احتمالاً أنه ليس لها بالمعنى الكامل كالأب. إن تلك الأفكار بُنيت على مفاهيم خاطئة للمعنى الصحيح للبنوية. فمع أن تلك التسمية لها معنى مُتداول وهو البنوة بالتنازل. فهي تحمل معنى أسمى بما لا يقاس له أهميته. فإذا قلتُ عن نفسي أنني ابنُ النيل يكون المقصود أنني مصري. ولا يفهم إطلاقاً أنني أتيت بالتنازل من نهر النيل.

وهناك أمثلة عديدة بالكتاب المقدس لاستعمال كلمة ابن أو أبناء. ولم يكن المقصود منها انتساب بالتنازل. وعلى سبيل المثال ما جاء بسفر الملوك الأول الأصحاح العشرين عن الرجل الذي من بني الأنبياء. إذ القصد أنه نبي من الأنبياء ولا أكثر. وما جاء بسفر ترميا الأصحاح الثاني عشر يقول: "فاجتمع بنو المُعنين من الدائرة حول أورشليم". ويعنى أن هؤلاء الذين يقومون بأدوار الغناء في دائرة أورشليم عقدوا اجتماعاً يضمهم وكان خاصاً بهم. من هنا نفهم أن عبارة ابنُ الله تعنى انتساب يسوع المسيح إلى الله ذاته وله خصائص اللاهوت. ولا تعنى أنه أدنى أو أقلُّ لاهوتياً. إن الساميين وأهل الشرق اعتادوا استخدام التسمية "ابن" للدلالة على التساوى في الطبيعة والتساوى في الكيان. وبناءً عليه كانت تسمية يسوع المسيح "ابنُ الله" وهي في المفهوم اليهودي واضحة المعنى.^١

لقد واجه يسوع المسيح اعتراض اليهود عليه لإعلان لاهوته. وأصرّوا على تطبيق الشريعة الموسوية ضده. وقالوا لدينا الشريعة وتبعاً لشريعتنا لا بد أن يسوع يموت. وبالرجوع إلى إنجيل يوحنا الأصحاح التاسع عشر. نقرأ هذه الكلمات التي تفوه بها رؤساء الكهنة أثناء محاكمة يسوع المسيح أمام بيلاطس البنطي. فقد قال لهم بيلاطس: "خذوه أنتم واصلبوه لأنى لست أجد فيه علة". فأجابته اليهود قائلين: "لنا شريعة وحسب شريعتنا يجب أن يموت لأنه جعل نفسه ابنُ الله". وبالأصحاح الخامس سجل يوحنا البشير تلك الكلمات: "فمن أجل هذا كان اليهود يطلبون أكثر أن يقتلوه. لأنه لم ينفض السبب فقط. بل قال أيضاً أن الله أبوه مُعادلاً نفسه بالله". إن يسوع المسيح بتعريفه لنفسه أنه يُعادل الله. جعل اليهود يطلبون قتله. لاثهامه بأنه ارتكب تجديفاً.^٢

إن الكتاب المقدس يُقيم الدليل على بنوية يسوع المسيح أنها منذ الأزل. فبالرجوع إلى المزمور الثاني نقرأ تلك الكلمات: "إني أخبر من جهة قضاء الرب. قال لي أدت ابني. أنا اليوم ولدتك". وقد يعترض أحدهم بقوله: إن يسوع المسيح (أصبح) ابناً لله. يقصد أنه ليس كذلك منذ الأزل. ولكن ذلك يخالف المطلق السليم. فالحقيقة أن يسوع المسيح هو على الدوام ابنُ الله. لأنه إذا كان هناك زمنٌ مُعيّن لم يكن الابنُ ابناً. فتطبيقاً على ذلك يمكننا أن نقول: أنه كان هناك زمنٌ مُعيّن لم يكن الأب فيه أباً. لأنه إذا كان الأبنوم الأول تعريفه أنه الأب الأزلي الأبدى. فبناءً عليه نقرر أن تعريف الأبنوم الثاني وهو الابن. لا بد أن يكون وجوده أزلياً أبدياً كذلك.^٣

^١ سفر الملوك الأول ٢٠: ٣٥ ، سفر نحما ١٢: ٢٨ ، استمع إلى الإنجيل

^٢ إنجيل يوحنا ٧: ١٩ & ٥: ١٨

^٣ سفر المزمير ٢: ٧

والدليل على أن بنوية يسوع المسيح أزلية. نجدّه في الحقائق المذكورة قبل ميلاده في بيت لحم. وعلى سبيل المثال ما ذكره يوحنا البشير بإنجيله الأصحاح الثالث. فالحديث الذي كان متداولاً بين الرب يسوع ونيقوديموس جاء فيه ذلك النص: "لأنه هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية". "لأنه لم يرسل الله ابنه إلى العالم ليدين العالم بل ليخلص به العالم". وهذا يعنى أن يسوع المسيح أرسل إلى العالم كابن الله. وأنه كان ابناً لله قبل تجسده.^١

هناك دليل آخر على أن يسوع المسيح هو ابن الله منذ الأزل. ونجدّه في الحقيقة المذكورة بالرسالة إلى العبرانيين الأصحاح الأول. إذ مكتوب: "الله بعد ما كلم الآباء بالأنبياء قديماً بأنواع وطرق كثيرة. كلمنا في هذه الأيام الأخيرة في ابنه الذي جعله وارثاً لكل شيء الذي به أيضاً عمل العالمين. الذي وهو بهاء مجده ورسم جوهره وحامل كل الأشياء بكلمة قدرته". ذلك يوضح أن الله خلق العالمين من خلال الابن المبارك. ويعنى أيضاً أن الابن كان وجوده قبل كل الخليقة.^٢

ولقد كتب بولس الرسول بالوحي الإلهي في رسالته إلى مؤمنى كولوسى الأصحاح الأول عن يسوع المسيح يقول: "الذي هو قبل كل شيء وفيه يقوم الكل". وذكر يوحنا البشير في إنجيله الأصحاح الثامن قول الرب يسوع عن نفسه وهو يخاطب اليهود: "إن كنت أمجد نفسي فليس مجدى شيئاً. أبى هو الذي يمجدنى الذي تقولون أنتم أنه الهكم. ولستم تعرفونه. وأما أنا فأعرفه. وإن قلت إني لست أعرفه أكون مثلكم كاذباً. لكنى أعرفه وأحفظ قوله. أبوك إبراهيم تهلل بأن يرى يومى فرأى وفرح". فقال له اليهود: "ليس لك خمسون سنة بعد. أفرأيت إبراهيم؟". قال لهم يسوع: "الحق أقول لكم. قبل أن يكون إبراهيم أنا كائن".^٣

بناءً على ما تقدم من أدلة. ويعوزنا الوقت لسرد أكثر. ولكن نستطيع أن نؤكد القول أن يسوع المسيح هو يهوه. ووجوده منذ الأزل وإلى الأبد. وأنه مساو للآب وللروح القدس في الوجود الأزلى الأبدى. وأن وجوده سابق للزمن. وبسفر رؤيا يوحنا اللاهوتى سجل يوحنا بالأصحاح الأول إعلان الرب يسوع عن نفسه حين قال له المجد: "أنا هو الألف والياء. البداية والنهاية. يقول الرب الكائن والذي كان والذي يأتي القادر على كل شيء". ثم كتب يوحنا يقول: "فلما رأيته سقطت عند رجليه كميت". فوضع يده اليمنى على قائلاً لي: "لا تخف. أنا هو الأول والآخر. والحي وكنت ميئاً. وها أنا حي إلى أبد الأبدين آمين. ولي مفتيح الهاوية والموت".^٤

إن الرب يسوع المسيح الكائن والذي كان سيأتي ثانية. فهل أنت مستعد أخى لقدومه؟. سيأتي الرب يسوع المسيح "ليقيم الرافدين" على رجاء القيامة للحياة الأبدية السعيدة. "وليخطف الأحياء" المؤمنين. "الطالبين ومُتطربين سرعة مجيئه". "وهكذا نكون كل حين مع الرب". لبتك أخى تكون مستعداً للقائه الآن قبل فوات الأوان. لبتك تعطى مجالاً للروح القدس. "ليقودك ويرشدك ويعلمك الطريق التي تسلكها". لبتنا نعتزف بخطايانا ونطلب صفحاً وغفراناً. لبتنا نسلم حياتنا بالكامل لمن وهب حياته ليفتدينا. لبتنا نأتي الآن ولا نوجل. لأننا لا نعلم ما يحبوه المستقبل لى ولك أخى الفاضل. لبتنا نأتي الآن "لننجو من الهلاك الأبدى. وننال الحياة الأبدية".^٥

والآن أدعوك أخى لتشارك معى فى تلك الصلاة: أبانا السماوى.. أشكرك لتدبيرك أمر خلاصى فى شخص الابن الحبيب الرب يسوع المسيح. الذى أرسلته من أجلى ليفتدى حياتى. اقبل توبتى إلهى واغفر لى ذنوبى. وطهرنى بالدم المسفوك من أجلى على صليب الجلجثة. أتى إليك واثقاً من استجابتك يا من أحببتى فضلاً. زودنى ربى بحكمتك لأكون شاهداً أميناً لعظمة محبتك. وعمل نعمتك العجيب فى حياتى. أرفع صلاتى فى اسم يسوع الفادى. مؤمناً بصدق وعدك يا من قلت: من يقبل لى لا أخرجته خارجاً.

أخى القارئ العزيز.. إن أردت سماع تلك الرسالة أو غيرها ستجد ذلك فى:

<http://www.muhammadanism.org/Media/Audio/BetterLife/Default.htm>

^١ إنجيل يوحنا ٣: ١٦ - ١٧ ، إنجيل متى ١٦: ١٣ - ١٧

^٢ الرسالة إلى العبرانيين ١: ١ - ٣

^٣ إنجيل يوحنا ٨: ٥٤ - ٥٨

^٤ سفر رؤيا يوحنا اللاهوتى ١: ٨ & ١٧ & ١٨

^٥ رسالة بولس الرسول الأولى إلى مؤمنى تسالونيكى ٤: ١٣ - ١٨ ، سفر المزمير ٣٢: ٨ ، رسالة بطرس الرسول الثانية ٣: ١٢